السرد والشرح يبين ان كل دولة سعت الى استخدام الصهيونية أداة لتحقيق أهدافها — أي أهداف هذه الدولة — مع خدمة الاهداف الصهيونية . في مقابل ذلك ، يختفي الوجه الاخر من العملة . وهو سعي الصهيونية لاستخدام كل دولة وتوظيفها لخدمة الاهداف الصهيونية ، ولا مانع في ذلك من التحالف مع الدولة وعدوها في نفس الوقت . فقد برعت الدبلوماسية الصهيونية براعة ميكيافيلية لا مزيد عليها ، كما ان تقسيم الادوار مبدأ صهيوني ثابت في التعامل الدولي وفي العلاقات الدولية . وأحداث السنوات الاربع ١٩١٤ — ١٩١٨ ملأى بالعديد من الشواهد على ذلك .

الملاحظة الثانية : ان هذه الدراسة الممتازة افتقدت جانبين كان يجب أن لا يغيبا عن ذهن المؤلف . الجانب الاول هو الاطار الدولي الذي تمت وجرت فيه الاحداث ، والصراعات الدولية التي أدت الى قيام الحرب العالمية الاولى . ان هذه الدراسة هي بالاساس دراسة في تاريخ حركة ذات طابع دولي ، أي أنها — في النهاية — دراسة في تاريخ العلاقات الدولية . فكيف تكتمل هذه الدراسة دون تسجيل الاطار الدولي الذي صاحب هذه التطورات ، ان غياب هذا الجانب أدى بالمؤلف الى التكرار من ناحية والى عدم وضوح او توضيح التطورات بشكل كاف من ناحية اخرى . والجانب الثاني هو تطور الهيكل التنظيمي للحركة الصهيونية الذي غاب تماما واختفى كلية من هذه الدراسة .

وبالطبع ، فان هاتين الملاحظتين لا تقللان كثيرا من الجهد الكبير الذي بذل في تقديم مثل هذه الدراسة الرائعة ، التي يكفي اي كاتب فخرا ان ينتج مثلها في عمره . فما بالنا وهذه هي باكورة أعمال المؤلف . لا شك انه يعد بتقديم الكثير .

وبالمثل لا يقلل من شأن هذه الدراسة بعض الملاحظات الاخرى او الخلاف في وجهات النظر . من ذلك ، تصوير نجاح الصهيونية في الحصول على وعد بلفور من بريطانيا على انه نجاح دعائي (القسم الاول ص ٣١٨) . وهذا خطأ لا يجوز ان يقع فيه باحث مدقق مثل الاستاذ عبد الرؤوف سليم . وهو ما كان ليقع في ذلك لو انه تابع العلاقات الصهيونية مع القوى الرأسمالية الكبرى، حيث لم يكن هدفة ان تصريح بلفور كان بريطانيا ولم يكن فرنسيا او ايطاليا او حتى امريكيا . لقد كانت بريطانيا أكبر قوة امبريالية في ذلك الوقت ، وأكبر قوة امبريالية طامعة في احتلال الوطن العربي .

وبالمثل أيضا ، يجانب المؤلف الصواب في تصويره (ص ٨٥ و٨٩ من القسم الاول) ان اصدار تصريح بلفور كان محاولة بريطانية لكسب اليهود الروس . ربما يكون هذا العامل قد لعب دورا ، ولكنه بالتأكيد ليس العامل الاهم ، ولا الاول وراء الوعد البريطاني « لليهود » بوطن قومي في فلسطين .

ويورد المؤلف (القسم الاول ص ١٤٩) قول كاتب صهيوني هو فينكلشتين : « أحسن البريطانيون استعمال امكانيات اليهود ، ولكن هدفهم الاول كان تقديم المصالح الاستعمارية على الاماني القومية اليهودية . لقد تطابقت المصالح الاستعمارية استقرار الشرق الاوسط بوجود سكان وحكومات سهلة الانقياد » ، وهذا صحيح ، ولكنه لا يدعم ما ذهب اليه المؤلف من تفسير النجاح الصهيوني على انه نجاح دعائي ! بالاضافة الى ان الكاتب لم يشرح بالشكل المطلوب — كما سبق القول — التلاقي (أو التعانق على حد التعبير الشائع هذه الايام) بين الاستعمار البريطاني والاهداف الصهيونية ، واكتفى بالحديث عن المصالح البريطانية في فلسطين وعن موقع فلسطين الجغرافي.

والتاريخ في النهاية ليس وقائع صماء . انه حي دائما وغير قابل للنسيان . وفي هذه الدراسة يورد المؤلف صفحات عن التأييد الامريكي للصهيونية منذ البداية ، ودور الصهاينة الامريكيين في صدور وعد بلفور ، ودور الرئيس الامريكي ويلسون صاحب المبادىء الاربعة عشر (والمناضل من اجل السلام !) في اصدار هذا الوعد . وأحيانا نكون مطالبين بأن نقرأ التاريخ برؤية الحاضر . وهذا يصدق على دراسة الاستاذ رؤوف سليم ، خاصة حينما تعلو نبرة الحديث عن ابتعاد امريكا عن اسرائيل ، وامكانية الضغط الامريكي على اسرائيل .

يقول الكاتب [القسم الثاني ص ١٠٦ — ١٠٧] : « ان الحكومة البريطانية عملت على